الفصل الخامس

اختيـــار زوجـــة

في شهر كانون الأول ديسمبر من العام نفسه ١٥٤٦ أبلغ إيڤـان المتروبوليت ــ وكان قد بلغ السادسة عشرة ــ بأنه قرر الزواج والتمس رأيه . وكانت سنوات العنف العشر قد جعلت لموسكو بين الأمم سمعة سيئة ، ولم يكن يعرف عن أية أميرة اجنبية أنها ترضى الارتباط بإيڤان بروابط الزواج ، ولم يكن إيڤان من ناحيته قد وقع ناظراه في روسيا على امراة تمكنت من أن توقظ فيه شعوراً رومانسياً ولم تكن أمام عينيه أية خطيبة محتملة .

ومن أجل اختيار هذه الزوجة نصحه المتروبوليت بأن يجمع حسب التقاليد أكبر عدد من المرشحات لينتخب من بينهن من تناسبه منهن . وأعجب الدوق الكبير بهذا الاقتراح فكانت النتيجة أن دعا المتروبوليت كل نبلاء موسكو لخدمة دينية في كاتدرائية الصعود في اليوم التالي لمحادثته مع إيڤان . وكان النبلاء على معرفة بنوايا الدوق الكبير في الزواج فأتى منهم أعداد كبيرة كان من بينهم حتى المحرومون من نعمة الكنيسة وكان الجميع يتوقعون الجديد من الأنباء .

وبعد تلاوة الصلوات خرج المتروبوليت من الكاتدرائية واتجه يتبعه النبلاء الى قاعة الاستقبال في القصر حيث كان إيڤان ينتظرهم وهو جالس على العرش . عند ذلك نهض إيڤان مواجهاً المتروبوليت ونطق بهذه العبارات : « واثقاً من نعمة الله وامه الطاهرة ومن شفاعة القديسين